بسم الله الرحمن الرحيم

شبكةُ شموخِ الإسلامِ

منتدى المجَاهِدَاتِ الشَّامِخَاتِ يُقَدِّم:

تفريغ مجموعة خطب للشيخ أبي الحسن العراقي "مصطفى الناصري" تقبله الله

(٥) "المُستَقبَلُ لِلإِسلامِ"



بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله معزِّ الحقِّ ورافعه، ومذلِّ الباطل وواضعه.

حمدًا لمن أسماؤه مُكمَّلة ... اللهُ لا إلَهَ إلَّا هُوَ لَه

حمدًا كثيرًا دائِمَ البَقَاءِ ... مُكَافِئًا تَرَادُفَ الآلَاءِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَتْرَا ... عَلَى أَجَلِّ العَالَمِينَ قَدْرًا

وَآلِهِ أَفنَانِ دَوحَةِ الشَّرَفِ ... وَصَحبِهِ وَتَابِعٍ نِعْمَ السَّلَفِ

مَا لَمَعَ البَرْقُ عَلَى أُمِّ القُرَى ... أو هَتَفَتْ قُمْرِيَّةٌ عَلَى الذُّرَى

عباد الله:

حياكم الله وبيّاكم، وحمى حماكم، وجعل الجنة مثوانا ومثواكم.

أوصيكم بتقوى الله العظيم، وطاعته، ولزوم أوامره وكثرة مخافته، وأحذركم وبال عصيانه ومخالفة أمره، واستفتح بالذي هو خير:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**

ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد؛

اعلموا معشر الإخوة أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واعلموا أن شر الأمور محدثاتها، وأن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من حرها وشرها.

معشر الإخوة:

من بين طيات الظلام، تتلألأ كلمات سيد الأنام، عليه الصلاة والسلام:

أن المستقبل للإسلام.

المستقبل للإسلام؛ عنوان الفصل الأول من المجلد الأول من سلسلة الأحاديث الصحيحة، سطر فيه رحمه الله جُلَّ الأحاديث الصحيحة التي تدل دلالة واضحة وضوح الشمس أن خلاصة ما يعيشه العالم، وما عاشه من قبل من صراعات ونزاعات، وحروب وفتن ومحن، خلاصة ذلك كله سيكون التمكين لدين عز وجل في الأرض.

قال الله جل في علاه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥].

قسمًا ؛

قسمًا بربِّ الكونِ إنَّ صليبَهم * في قلبِ روما شُعبتَاه ستُسحقُ**

روما سيَفتحُها رجالُ محمدٍ *** وعدًا بربِّ محمدٍ سيُحقّقُ

وعدًا وليسَ اللهُ مخلفَ وعدِه *** لعبادِه ما للشريعةِ طبَّقُوا

نصَت على استخلافِكُم آياتُه *** والنّصُ قطعيُّ الثبوتِ فصدِّقُوا

في خضم المحنة، في خضم الشدائد والاضطهاد، يأتي خباب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خباب: كان المشركون يفرشون لي الجمر، ويضجعونني عليه، فلا يطفئ الجمر إلا شحم ظهري، قال: فأتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرب الكعبة، وأنا أحبو -لا يستطيع أن يقف من شدة الألم- فقلت يا رسول الله؛ ألا تدعو لنا؟ يا رسول الله؛ ألا تستنصر لنا؟ فقال: فاحمر وجهه صلى الله عليه وسلم غضبًا، وقال: **(كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِفَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).**

سنة من سنن الله عز وجل في خلقه، وقانون من قوانينه سبحانه في خلقه، ليس هنالك تمكين إلا وقبله اضطهاد، ليس هنالك تمكين إلا وقبله ابتلاء وتشريد وتَقْتِيل.

سئل الإمام الشافعي -رحمه الله-: أيهما أفضل للرجل: يُبْتَلى أو يُمَكَّن؟ قال: والله لن يُمَكَّن حتى يُبْتَلى.

وهذا كتاب الله ينطق بيننا: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٤]...

في خضم تلك الشدائد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبَشر أصحابه، وهم مستضعفون قليلون في وسط مجتمع كافر، ظالمٍ لهم مضطهد، مكذب لهم، كان يبشرهم

بمُلك فارس ومُلك الروم، فكانت تنزل هذه الكلمات وكأنها نور يتلألأ من بين طيات الظلام، كانت تُشرق له نفوس أهل الإسلام.

﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ [الأحزاب: ٢٢]..

لما تكالبت عليهم الأمم، قالوا نعم؛ هذا هو وعد الله، ستتكالب علينا الأمم، وسنستضعف، وسنبتلى، ولكن بعد ذلك سيأتي التمكين.

﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢]..

كان هذا حال المؤمنين؛ صبروا على ذلك حتى نزل عليهم نصر الله، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا؟

أما الكافرون ومن خلفهم من المنافقين، كانوا بين مكذب ومشكك ومستهزئ، كانوا يُعذِبُون المسلمين، يضطهدونهم، ثم يشيرون إليهم باستهزاءٍ ويقولون: ها هم ملوك الشام واليمن، أتريدون أن نجلب لكم الجواري؟ أتريدون أن نجلب لكم الخمور؟ يستهزءون، ويسخرون بهم.

وما هي إلا سنوات معدودة، حتى دارت الدائرة للمسلمين، وأسقط الله عز وجل أغلب إمبراطوريات العالم في ذلك الزمان، على يد أولئك الرجال الصادقين الربانيين المجاهدين، فدانت أمم الأرض لأهل الإسلام، عِزٌّ يُعِزُّ الله به الإسلام، وذِلٌّ يُذِلُّ الله به الشرك.

وبعد ذلك بسنوات، تتداعى أمم العرب إلى المسلمين في المدينة، يريدون أن يقضوا على بيضة المسلمين هناك، فيحدثنا الله عز وجل عن تلك الأيام: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ [الأحزاب: ١٠]...

يصف لنا حال المسلمين؛ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف والهلع

﴿**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]...

وفي ذات الوقت أظهر المنافقون ما يُخَبِّون في صدورهم، فقال قائلهم: يعدنا محمدٌ بمُلك فارس والروم، ولا يقوى أحدنا على قضاء حاجته، -ولا يقوى أحدنا أن يقضي حاجته بأمان- وتحدثوننا عن مُلك فارس ومُلك الروم!

وهذا شأن المنافقين في كل زمان، فهم بين مُكذبٍ، وبين مُشككٍ، وبين مُستهزئٍ، ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهَؤُلَاءِ دِينُهُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٩]...

في كل زمان يرمون أهل الإسلام والجهاد والثبات بأنهم مغرورون، غرّهم دينهم!

ووالله ما ذلك بغرور، إنما ذلك التطبيق الكامل لموعود الله عز وجل، فالله عز وجل وعد المسلمين من قبل، كما يحدثنا عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: كنت جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه رجلٌ يشكو الفاقة -أي يشكو الفقر- وجاءه آخر يشكو قطع السبيل، لأن المسلمين لم يكن لهم التمكين حينها، قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عدي هل رأيت الحِيرة؟ قال: قلت لا، وقد أنبئت عنها، أي سمعت بها- قال فقال: يا عدي، لئن طالت بك حياة لترينَّ الضعينة -أي المرأة- تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله، ولئن طالت بك حياة لترينَّ كنوز كسرى تنفق في سبيل الله، قال: قلت كسرى ابن هرمز؟ قال: كسرى ابن هرمز، قال: ولئن طالت بك حياة لترينَّ الرجل يُخرج ملء كفه ذهبًا أو فضة ثم ينظر إلى أحد يقبلها فلا يجد -يفيض المال حتى يخرج الرجل كفًا من ذهب أو من فضة ثم يبحث عن فقير ليعطيه إياها فلا يجد- فيقول عدي: ووالله الذي لا إله غيره لقد رأيت الضعينة تخرج من الحِيرة حتى تطوف بالبيت لا تخشى إلا الله، ولقد كنت في الجيش الذي فتح كنوز كسرى، ووالله الذي لا إله غيره -يحدث عدي أصحابه- والله الذي لا إله غيره لئن طالت بكم حياة لترونَّ الرجل يُخرج ملء كفه ذهبًا أو فضة ثم ينظر أحدًا يقبلها منه فلا يجد.

ولقد وقع ذلك فعلًا في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز -رضي الله عنه- فكانت أموال الصدقات تخرج من المدينة إلى اليمن فترجع ولم يؤخذ منها شيء، قالوا: يا أمير المؤمنين اكتفى الناس، وفاض الخير، حتى لم يبقَ فينا فقير.

طُرِحت البركة، طُرِح الخير، عَمَّ الرخاء، وما ذلك إلا بعد امتحان، بعد امتحان شديد تعرض له المسلمون حتى أكل أحدهم التراب، حتى أكلوا أشياءً لم يكونوا يعرفونها، حتى أنه كان قوت أحدهم في يومٍ كاملٍ تمرةٌ واحدة، بلغ بهم الجهد أنه تمرُّ الليالي، الليلة والليلتان والثلاث ولا توقد في آل محمدٍ نار!

لما تعرضوا لهذا الابتلاء، وهذا الامتحان، وعلموا أن ذلك اختبار من الله عز وجل لهم في دينهم: ثبتوا وصبروا، حتى جاءهم نصر الله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى، وبعد:

معشر الإخوة؛

لا بدَّ للأمة من ميلاد، ولا بدَّ لهذا الميلاد من مخاض، ولا بدَّ للمخاض من آلام، سنة؛ سنة الله عز وجل في خلقه، لو أن هنالك تمكين وعزة ورخاء تأتي دون ابتلاء واستضعاف وامتحان، لكان أولى الناس بها هو سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

عانى ما عانى، ولاقى ما لاقى وهو أشرف الخلق عند الله، فليس بينه وبين الله أحد، يُحدِّث النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله، فيقول: **(لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد**

جعت وما يجوع أحد، ولقد مرَّت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة فلا أجد ما يأكله ذو كبد إلا ما يواريه إبطُ بلال).

تخيل؛ هل تقوى على أكل طعام كان يضعه أحدهم تحت إبطه؟

لقد أكله سيدي وسيدك صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلا اختبار وابتلاء من الله عز وجل لعباده، فلما صبروا وثبتوا نزل الفتح عليهم، فدانت لهم أمم الأرض، وأُنفقت كنوز الأرض في سبيل الله.

ولقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئِل: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا؟

بشرهم عليه الصلاة والسلام بأن القسطنطينية -وهي المملكة الشرقية للروم- ومن بعدها رومية -وهي المملكة الغربية للروم- ستُفتح ويفتحها المسلمون، ويدين أهلها بدين الإسلام، فقالوا: يا رسول الله؛ أيُّ المدينتين تُفتح أولًا؟ قسطنطينية أم رومية؟ قال: مدينة هرقل، أي قسطنطينية.

ولقد وقع ذلك في عهد القائد الصالح الإمام: محمد الفاتح رحمه الله، ففتح الله عليه قسطنطينية، ودان أهلها بدين الإسلام ودخلت في حاضرة الإسلام، وحُكِّم فيها الكتاب والسنة، ووالله الذي لا إله غيره لئن طالت بنا حياة، لتفتحنَّ رومية، والله الذي لا إله غيره ليفتحنَّ الله عز وجل روما، وليدينَنَّ أهلها بدين الإسلام، وليُحكَّم الكتاب والسنة فيها، شاء من شاء، وأبى من أبى، فإن الله قد قضى، وكل شيء في الكتاب قد مضى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله زوى لي الأرض** -أي طواها- **فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها)**، سيبلغ مُلك هذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

وقال عليه الصلاة والسلام: **(ليبلغنَّ هذا الأمر**-أي هذا الدين- **ما بلغ الليل والنهار)**، فأيُّ بلدٍ يطلع فيه النهار، أو يطلع عليه الليل، إلا سيبلغه هذا الدين.

فيقول عليه الصلاة والسلام: **(فلا يذرنَّ الله عزوجل بيت مذرٍولا وبرإلا أدخل الله فيه هذا الدين، عِزًّا يُعِزُّالله به الإسلام، وذُلًا يُذِلُّ الله به الشرك).**

فيا أهل الإسلام؛

إن هذا موعود نبيكم الذي آمنتم به وصدقتموه، وأحببتموه، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌّ يوحى، أوحى الله عز وجل إليه بأن يبشر أمته بذلك، وقد أدّى صلى الله عليه وسلم ما عليه من أمانة، فالسعيد، التقي، الفطن، النقي، الذي يكون له مساهمة في ذلك الفتح.

وما نحن اليوم إلا صدقةٌ جارية من صدقات الفاتحين الذين أدخلوا الإسلام إلى هذه الديار، فلو أنهم لم يفتحوها فلم ندري حينها على أي دين سنكون، ولكن منَّ الله عز وجل علينا بأولئك الرجال، فجاءونا بالإسلام، وقد رووه بدمائهم حتى أنبتوا شجرته في هذه الأرض، فعمَّت وكبرت وانتشرت، حتى جاءت أجيالٌ بعد أجيال تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صغير أو في كبير، فما نحن إلا صدقة جارية من صدقات أولئك الرجال الأماجد.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إنَّ التشبه بالكرام فلاحُ

أممِ الأرض ستدخل في هذا الدين، شاء من شاء، وأبى من أبى!

فليكن لك شرف المساهمة.

تمسك بهذا الدين حُبًا، قبل أن تتمسك به طمعًا، وليكن شعارك:

سأضل اهتف بالجهاد وانطقُ *** ما دامَ في جسمي دمٌ يتدفقُ

لِمَ لا؛ وربي جلَّ في قرآنه *** عقد اليمين فنصرنا سيُحققُ

قسمًا بربِّ الكونِ إنَّ صليبَهم *** في قلبِ روما شُعبتَاه ستُسحقُ

روما سيَفتحُها رجالُ محمدٍ *** وعدًا بربِّ محمدٍ سيُحقّقُ

وعدًا وليسَ اللهُ مخلفَ وعدِه * لعبادِه ما للشريعةِ طبَّقُوا**

نصَت على استخلافِكُم آياتُه * والنّصُ قطعيُّ الثبوتِ فصدِّقُوا**

اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً.

اللهم وَحِّد صفوفنا، اللهم لُمَ شملنا، اللهم أصلحنا ظاهرًا وباطنًا، سدد اللهم رأينا ورمينا، سدد اللهم رأينا ورمينا، كن لنا هاديًا ومؤيدًا ونصيرًا.

اللهم عليك بالرافضة المشركين، والنصارى المعتدين، واليهود الغاصبين، ومن والاهم من العالمين، اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم آية.

اللهم يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد؛

اللهم إن لنا إخوانًا يرزحون في سجون الكافرين، اللهم ما نحن بأرحم بهم منك وأنت أرحم الراحمين، اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين غانمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وصلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وأقمِ الصلاة .

رجب

١٤٣٩ هـ